بسم الله الرحمن الرحيم
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ

# الصادقين

الإسلام محتاج الى جميع أبنائه

الجمعة ١٣ ذو القعدة ١٤٤٤ هـ / ٢ حزيران ٢٠٢٣م العدد ٢٣٤

نشرة تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوى وأخبار سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]

## تنزيه الأمة الإسلامية عن السبّ (١)

السبّ والشتم: ذكر الآخر ونبزه بما يُنقص قدره ويشين سمعته من الأوصاف القبيحة، وسبّهم لله تعالى ذكرهم له بما لا يليق بمقامه وقد سجّل القرآن الكريم جملة من مقولاتهم الباطلة كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقيل: أن أصل السب القطع(٢) لأنه سبب للقطيعة أو لأنه يقطع تقدم الآخر وانتشار صيته بذمّه ونسبة النقائص إليه، قال بعض المحققين: ((الأصل في هذه المادة: هو الحصر والحد بالنسبة إلى سعة شيء وانطلاقه واعتلائه، فيقال: سبّه إذا قال فيه ما يوجب حصره ويمنع عن انطلاقه واعتلائه، والسبب هو ما يُتوصّل به إلى شيء في مقام حصره والإحاطة به، فمعنى يسبّوا الله: أي يقولون فيه ما يوجب حصر مقامه وتحديد مرتبته وعلوّ شأنه))(٣).

قال في المفردات: ((السب: الشتم الوجيع، وسبّهم لله ليس على أنهم يسبّونه صريحاً ولكن يخوضون في ذكره فيذكرونه بما لا يليق به ويتمادون في ذلك بالمجادلة فيزدادون في ذكره بما تنزّه تعالى عنه)).

والآية الكريمة تبيّن أدباً من آداب الإسلام الراقية لحفظ كرامة المجتمع المسلم وتنزيهه عما يشين وهو الترفع عن سبّ الآخر والاكتفاء بدعوتهم إلى الحق بالحجة والبرهان على نحو قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل: ١٢٥) والسبّ ليس من أساليبها حتى لو كان المقابل من الكفار والمشركين فضلاً عمّن هو أقرب، لأن ذلك يستفزّ الآخر ويدعوهم إلى الرد بما لا يليق بالخالق العظيم ظلماً وجهلاً منهم وحماقة وتعصّباً فينسبون إليه سبحانه النقص والتشبيه والظلم والعجز وغير ذلك تعالى الله عما يصفون، ويكون المؤمن سبباً في هذا التجاوز عليه.

فالحكم ليس مبنياً على كون المشركين وآلهتهم يستحقون السب أو لا وإنما لترتب هذا الفعل المقيت، والله تعالى لا ينقصه هذا السبّ ولا يضرّه ولكن هذا الفعل وردة الفعل سيخلقان أجواءً متشنجة وعصبية تعيق هداية الآخرين لأنها تقطع طريق الحوار وتدفعهم الى العناد والمكابرة، ولا يريد الله تعالى لعباده المؤمنين أن يكونوا سبباً لزيادة آثام الآخرين، وقد استفاد العلامة الطبرسي (رحمه الله) من الآية ((دلالتها على أنه لا ينبغي لأحد أن يفعل أو يقول ما يؤدي إلى معصية غيره))(٤) وقد يكون الشخص سبباً في سبّ والديه، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (من أكبر الكبائر أن يسبّ الرجل والديه، قيل: وكيف يسبُّ والديه؟ قال (صلى الله عليه وآله): يسبّ الرجل فيسبّ أباه وأمه)(٥) فلا بد من ضبط الانفعالات والتصرف بحكمة ودقة نظر لتأثيرات هذا التصرف وتداعياته.

ومن خالف هذا النهي واتبع حماسه وعاطفته فقد عصى الله تعالى، روى علي بن إبراهيم في تفسيره بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إنه سُئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله أن الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ليلة ظلماء، فقال كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله وكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون فنهى الله المؤمنين عن سبّ آلهتهم لكيلا يسبّ الكفّار إله المؤمنين فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون فقال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾)(٦) والشرك المقصود هو شرك الطاعة وليس شرك العبادة.

والمراد من قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يمكن أن يكون على نحو الفاعل أو المفعول به فيشمل الداعي والمدعوين أي الكفار وآلهتهم، لذا فإن النهي عن السب يتسع إلى سائر الرموز المقدسة لدى الآخر لأنه سيدفعه إلى النيل من أولياء الله الصالحين، روى العياشي في تفسيره عن عمر الطيالسي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (سألته عن قول الله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قال: فقال: يا عمر هل رأيت أحداً يسبّ الله؟ قال: فقلت: جعلني الله فداك فكيف؟ قال: من سبّ ولي الله فقد سبّ الله)(٧).

وقد دأب الأئمة المعصومون (عليهم السلام) على تربية شيعتهم على التعفف عن السبّ، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله لبعض أصحابه لما سمعهم يسبّون أهل الشام: ﴿إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمُ اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ﴾(٨)، وفي نقل: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين(٩).

أما سبّ المؤمن فهو من الكبائر، قال النبي (صلى الله عليه وآله): (سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر)(١٠)، وروي عنه (صلى الله عليه وآله) قوله: (سابّ المؤمن كالمشرف على الهلكة)(١١) وإذا تسابّ شخصان فوزرهما على البادي، روي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قوله: (البادي منهما أظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر إلى المظلوم)(١٢) وفي رواية (ما لم يتعدّ المظلوم).

لذا كان من أعظم موبقات معاوية وجرائمه سنّه سبّ أمير المؤمنين (عليه السلام) وأمر عماله على الولايات بذلك، فقد أرسل معاوية كتاباً إلى عماله قال فيه: (ألا برئت الذمة ممن روى حديثاً في مناقب علي وأهل بيته، وقامت الخطباء في كل مكان على المنابر بلعن علي بن أبي طالب (عليه السلام) والبراءة منه والوقيعة في أهل بيته واللعنة لهم بما ليس فيهم (عليهم السلام))(١٣)، وعمل بها الأمويون سبعين عاماً عدا فترة عمر بن عبد العزيز وهي سنتان حيث أمر برفع السبّ، وما وجدوا في علي مثلبة يسبّونه بها فافتروا عليه تهماً ليحرضوا الغوغاء عليه كاتهامه بقتل عثمان زوراً وبهتاناً وهم يعلمون براءته، روي إن أحدهم سأل مروان بن الحكم فقال: (بأنكم تقولون بأن علياً تهاون في قتل عثمان) قال مروان بن الحكم: (معاذ الله إن علياً بريء من دم عثمان كبراءة الذئب من دم يوسف) فقال له: (إذن لمَ تقولون ذلك؟) فقال مروان بن الحكم: (إن أمرنا لا يستقيم إلا بذلك)(١٤)، وروى عمرو بن علي بن الحسين، عن أبيه علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: (قال لي مروان: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم، قلت: فما بالكم تسبّونه على المنابر؟ قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك)(١٥).

وروى ابن المغيرة عن ابن شعبة: (دخلت مع أبي على معاوية فكان أبي يأتيه فيتحدث معه ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتمّاً فانتظرته ساعة وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم! قلت: وما ذاك؟! قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه. فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه؟! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر! ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر. وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله! فأي عمل لي يبقى، وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك! لا والله إلا دفناً دفناً)(١٦).

ويظهر من رواية جليلة عن الإمام الرضا (عليه السلام) أن كثيراً من روايات مثالب خصوم أهل البيت (عليهم السلام) هي من صنع أعدائهم ونشروها مع ما فيها من منقصة على كبرائهم لتصل الى شيعة أهل البيت (عليهم السلام) ويتداولونها، وتبيّن الرواية بدقة مسالك أعداء أهل البيت (عليهم السلام) لعزلهم وشيعتهم عن بقية الأمة وإثارة الناس عليهم من خلال دسّ ثلاثة أشكال من الروايات أحدها التي تسبّ الرموز المقدسة لدى الآخرين ليتلاقفها أتباع أهل البيت بعاطفة وحماس واندفاع ويتحدثون بها فيتنفّر منهم الآخرون ويعزلونهم ويحاصرونهم ثم يكفّرونهم ويستحلّون دماءهم، وقد نهى النبي (صلى الله عليه وآله) عن ذلك بقوله: (لا تسبّوا الناس فتكتسبوا العداوة بينهم)(١٧).

قال إبراهيم بن أبي محمود: (قلت للرضا (عليه السلام): يا ابن رسول الله إن عندنا أخباراً في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) وفضلكم أهل البيت وهي من رواية مخالفيكم ولا نعرف مثلها عنكم، أفندين بها؟ فقال: يا ابن أبي محمود لقد أخبرني أبي عن أبيه عن جده (عليهم السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله عز وجل فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس، أي أعرف من تصغي إليه ولا تتبع إلا الحق (ثم قال الرضا عليه السلام): يا ابن أبي محمود إن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، يا ابن أبي محمود إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه، ومن فارقنا فارقناه، إن أدنى ما يخرج الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة: هذه نواة، ثم يدين

التتمة في الصفحة الرابعة

(١) ألقي هذا القبس القرآني في درس التفسير الأسبوعي على طلبة البحث الخارج يوم الأربعاء ١١/ذو القعدة/١٤٤٤ الموافق ٣١/ ٥/ ٢٠٢٣ تزامناً مع ذكرى ميلاد الإمام الرضا (عليه السلام).
(٢) معجم مقاييس اللغة- ابن فارس: ٣/ ٦٣، جمهرة اللغة- ابن دريد: مادة (سبب). (٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم للمصطفوي: ٥/ ١٦. (٤) مجمع البيان: ٤/ ٧٢.
(٥) بحار الأنوار: ٧٤/ ٤٦ ح ٦. (٦) تفسير القمي: ١/ ٢١٣ بواسطة البرهان: ٤/ ١٩. (٧) تفسير العياشي: ١/ ٣٧٣ ح ٨٠ بواسطة البرهان: ٢/ ٢٠. (٨) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٦.
(٩) شرح نهج البلاغة: ٣/ ١٨١ بواسطة ميزان الحكمة: ٤/ ١٣١. (١٠) كنز العمال: ٨٠٩٤، ٨٠٩٣، ٨٠٩٣. (١١) كنز العمال: ٨٠٩٤، ٨٠٩٣. (١٢) الكافي: ٢/ ٣٦٠ ح ٤.
(١٣) بحار الأنوار: ٣٣/ ١٧٦. (١٤) الصواعق المحرقة: ص ٥٥. (١٥) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٣/ ٢٢٠.
(١٦) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد: ٥/ ١٢٩، نقلاً عن كتاب الأخبار الموفقيات- للزبير بن بكار: ٤٦٢، ط. عالم الكتب. (١٧) الكافي: ٢/ ٣٦٠، ح٣.



﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ (آل عمران: ١٤٠)

## السيدان الشهيدان الصدران....نموذجاً (٢٠)

تناولت سورة آل عمران في سياق طويل معركة أُحُد وملابساتها ونتائجها والدروس المستفادة منها، ومنها هذه الفقرة التي تقع ضمن عدة فقرات فيها تسلية وعزاء للمسلمين عن الشهداء الذين سقطوا في معركة أُحُد وهم سبعون من خيرة المهاجرين والأنصار، وفيها تخفيف عن آلام المسلمين وجراحهم بسبب النكبة التي حصلت لهم في المعركة، وتقوية معنوياتهم وإعادة الأمل والثقة إلى نفوسهم، فيذكّرهم الله تعالى بعدة حقائق عليهم أن يستحضروها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩-١٤٠) فتبيّن الآيتان:

١- إنكم أنتم الأعلون بالإسلام فلا يجوز أن تشعروا بالهزيمة والهوان إن كنتم صادقين في إيمانكم.

٢- إن أصابكم قتل وجراح في هذه المعركة فقد أصاب عدوكم مثله فيها وفي معركة بدر ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ (النساء: ١٠٤) ولم ييأسوا بل جمعوا قوتهم من جديد وأعادوا الكرّة بالهجوم عليكم فلا يكونوا أحرص على باطلهم منكم على حقكم.

٣- إن هذا التقلب في الأحوال هو شأن الدنيا بسعادتها وشقائها فإن (دوام الحال من المحال) كما قيل، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك)(٢١) إذ كل وضع له مقدماته وأسبابه التي تؤدي إليه، وقد أرادها الله تعالى كذلك فسنّة المداولة إليه سبحانه ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠) منذ أن بدأت الخليقة، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (ما زال منذ خلق الله آدم دولة لله ودولة لإبليس، فأين دولة الله، أما هو إلا قائم واحد)(٢٢). فيوم لآدم على إبليس حينما طرد وعوقب بسبب امتناعه عن السجود، ويوم لإبليس على آدم حينما أطاعه وأكل من الشجرة فاهبطه الله تعالى من الجنة، وأخرج في الدر المنثور عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: (إن للحق دولة وإن للباطل دولة، دولة من دولة الحق أن إبليس أمر بالسجود لآدم فأديل آدم على إبليس وابتلي آدم بالشجرة فأكل منها فأديل إبليس من آدم)(٢٣).

٤- إن هذه الابتلاءات وتغير الأيام تكشف عن حقيقة الناس واستحقاقهم ليثاب المحسنون ويعاقب المسيئون ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (آل عمران: ١٤٠) ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (الأنفال: ٣٧)، وتفرز أهل المطامع والأغراض الدنيوية عن الصادقين في إيمانهم ليتخلص المجتمع المسلم من أولئك الذين ينخرون في عقيدته وأخلاقه.

٥- إنّ الشهادة كرامة من الله تعالى ووسام يقلده الله من يشاء، وهو عظمت الأولاء من يصطفي الشهداء منكم ويختارهم، فلماذا الأسى والحزن والله تعالى لا يختار لعباده إلا الخير، و (من) هنا تبعيضية، وهذا المعنى ذكره الإمام السجاد (عليه السلام) بقوله لابن زياد: (وكرامتنا من الله الشهادة)(٢٤) وذكرته العقيلة زينب (عليها السلام) وهي ترد على استهزاء ابن زياد وسؤاله: ﴿كَيْفَ رَأَيْتِ صُنْعَ اللَّهِ بِأَخِيكِ وَأَهْلِ بَيْتِكِ﴾ فقالت (عليها السلام): ﴿مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلًا، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾(٢٥).

والشهداء جمع شهيد أو شاهد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ (البقرة: ٢٨١) وهو مأخوذ من الشهود، والشهود والمشاهدة تعني المعاينة الحضورية إما بالبصر أو البصيرة والوجدان ويقابلها الغيب كما في كثير من الآيات الكريمة كقوله تعالى: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥) والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة ببصيرة أو بصر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (يونس: ٦١)، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ (البروج: ٧)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ (البقرة: ٢٨١)، وقول النبي (صلى الله عليه وآله) وقد سئل عن الشهادة قال: (هل ترى الشمس؟ على مثلها فاشهد أو دع)(٢٦).

وفي ضوء هذا فإن من وجوه تسمية القتيل في سبيل الله شهيداً لأنه يشاهد قبل خروج روحه ما أعدّ الله تعالى له من النعيم، أو لأنه شهد المعركة وثبت فيها حتى قتل -عن مجمع البيان-.

وقد يجعل الله تعالى في الشهداء من لم يقتل لأنه كان صادقاً في طلبها مهيئاً نفسه لها، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تصبه)(٢٧) وقال (صلى الله عليه وآله): (من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه)(٢٨) وقد يحرم أحدٌ من الشهادة لعدم استحقاقه لها فلم يكرمه بها، وقد يؤجّر الله تعالى لعبده الشهادة وهو مستحق لها لمصلحة الدين والأمة، قال أمير المؤمنين من خطبة له: (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ(٢٩)، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَقُلْتَ لِي: "أَبْشِرْ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ"؟ فَقَالَ لِي: "إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ"؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ)(٣٠) هكذا يتلقى المؤمنون الراضون بما يختاره الله تعالى بشرى القتل في سبيله.

وقد تعرضنا لهذا المعنى من الشهادة وهو القتل في سبيل الله تعالى باعتبار سياق الآيات ونزولها في معركة أحد، وإلا فإنّ الشهادة في المصطلح القرآني لها معنى أوسع من هذا، فإنها مقام شريف وهي تعني الرقابة والقيام بوظائف الخلافة الإلهية، والالتزام بما عاهدوا الله عليه، وترشيد عمل الناس وفق ما يريده الله تعالى ويرضاه، ويكون الشهداء مسؤولين عن كل ذلك أمام رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

والشهادة على الأمة مسؤولية تتطلب عدة مؤهلات:

١- العلم والمعرفة بالحقائق الدينية عموماً؛ لتتمكنوا من الشهادة عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ (المائدة: ٤٤).

٢- الحكمة والرشد في التصرف، وعدم اتباع الهوى ونحوه من أسباب الانحراف، والسلوك بوسطية واعتدال من خلال الالتزام التفصيلي بالشريعة، وهي الملكة المعروفة بالعدالة نعم هو لا يصل الى العصمة لذا احتاج الشهداء من الأمة الى شهادة المعصوم عليهم ومراقبته لهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

٣- الخبرة والنضج في إدراك الواقع ووعي متطلبات المرحلة وتحدياتها من خلال المعايشة الحسية والاستفادة من التجارب، قال تعالى على لسان عيسى بن مريم (عليه السلام): ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (المائدة: ١١٧)، فالشهادة تتطلب معايشتهم ومعاينة أعمالهم فلما غاب عنهم فقد شرطاً من شروطها، وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (العارف بزمانه لا تهجم عليه اللوابس)(٣١).

٤- توفر الملكات النفسية كالشجاعة والثبات والصبر وقوة العزيمة وعلو الهمة والتفاؤل التي تجعله كفواً لهذا المقام الشريف، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما ضعف بدنٌ عمّا قويت عليه النية)(٣٢)، وتترسخ هذه الملكات بالتعرض للابتلاءات والمحن.

وهذه المؤهلات تميّز الشاهد عن باقي الأمة وتجعل له مقام المشاهدة لأعمال الأمة والإشراف على أعمالهم كمن يشرف من علو فيكون محيطاً بما يجري تحت نظره، وسموا شهداء لمشاهدتهم الأعمال التي يشهدون بها.

وفي ضوء هذا المعنى فالآية الكريمة التي نحن بصددها تعني وعد المؤمنين بمنحهم مقام الشهادة اذا عرفوا هذه الحقائق التي استفدناها من الآيتين وأطمأنوا بها، والبشرية بحاجة إلى هؤلاء القيمين على الدين والقائمين بإرشاد الناس وإصلاحهم، وتكون الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥).

ومن هذا المعنى يتحصل لنا وجه آخر لتسمية القتيل في سبيل الله شهيداً لأنه بتقديم نفسه قرباناً يدلي بأعظم شهادة على الحق الذي مضى عليه وقد شهد بما قتلها على أحد على

التتمة في الصفحة الثالثة

(٢٠) قبس قرآني ضمّ دروس (من نور القرآن) الأسبوعي التي يلقيها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على طلبة البحث الخارج، وقد كان هذا القبس بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد السيد الصدر الثاني (قدس سره) يوم ٤/ذو القعدة/١٤٤٤ الموافق ٢٤/ ٥/ ٢٠٢٣م. (٢١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٩٦ (٢٢) تفسير العياشي: ١/ ١٩٩. (٢٣) الدر المنثور: ٢/ ٧٩.
(٢٤) تاريخ الطبري: ٦/ ٢٦٣ (٢٥) بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار) (عليهم السلام): ٤٥/ ١١٥. (٢٦) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ٢٧ - الصفحة ٣٤٢.
(٢٧) صحيح مسلم: ٣/ ١٥١٧ ح١٥٦،١٥٧ بواسطة ميزان الحكمة: ٤/ ٥١٢. (٢٨) صحيح مسلم: ٣/ ١٥١٧ ح١٥٦،١٥٧ بواسطة ميزان الحكمة: ٤/ ٥١٢.
(٢٩) روي عن أنس بن مالك قال: (أتي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعلي (عليه السلام) يومئذ وفيه نيف وستون جراحة -وفي رواية أخرى تسعون- من طعنة وضربة ورمية، فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمسحها وهي تلتئم بإذن الله تعالى كأنها لم تكن)(مجمع البيان: ٢/ ٢٢١). (٣٠) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٦. (٣١) تحف العقول: ٣٥٦. (٣٢) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٤٠٠.



الفارين من الزحف وعلى جميع الناس بحقيقة أن عصيان أوامر القائد الرباني تؤدي الى الهزيمة والخذلان والانكسار، وتستمر شهادتهم الى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٦٩).

وأعظم شهادة في هذا المجال شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) فقد شهد بدمه وتضحياته بأهل بيته وأصحابه على حقانية هذا الدين وسموه وعلو قدره وبذل الغالي والنفيس في نصرته وحفظه ونشره، روى الشيخ الطوسي في الأمالي عن عبد الله بن سيابة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (لما قدم علي بن الحسين (عليه السلام) وقد قتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما استقبله ابراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقال: يا علي بن الحسين من غلب؟ وهو مغطى رأسه وهو في المحمل قال له علي بن الحسين (عليه السلام): إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فأذن ثم أقم)(٣٣)، أي اذا دخل وقت الصلاة وتشهدت في أذانك وإقامتك لله بالوحدانية ولمحمد (صلى الله عليه وآله) بالرسالة ستعرف أن الحسين (عليه السلام) هو المنتصر وأن شهادته قد أدّت غرضها.

وقد اختار المعنى الأول للشهداء الشيخ الطوسي في التبيان بلحاظ سياق الآيات، واحتمل عدة مفسرين المعنيين ومنهم الطبرسي، واختار بعضهم الثاني خاصّة كالسيد الطباطبائي في الميزان باعتباره المعنى المستعمل(٣٤) في القرآن الكريم قال (قدس سره): ((وأما قوله: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ فالشهداء شهداء الأعمال وأما الشهداء بمعنى المقتولين في معركة القتال فلا يعهد استعماله في القرآن، وإنما هو من الألفاظ المستحدثة الإسلامية، كما مر في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾ (البقرة: ١٤٣) على أن قوله ويتخذ أيضاً لا يلائم الشهداء بمعنى المقتولين في المعركة كثير ملاءمة فلا يقال اتخذ الله فلاناً مقتولاً في سبيله وشهيداً كما يقال اتخذ الله ابراهيم خليلاً واتخذ الله موسى كليماً واتخذ الله النبي شهيداً يشهد على أمته يوم القيامة))(٣٥)، ثم قال (قدس سره) بعد كلام: ((ويمكن أن يتأيد هذا الذي ذكرناه بقوله بعده: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾)).

وقال السيد السبزواري (قدس سره) في وجه التأييد: ((ولأن قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ قرينة على أن المراد بالشهداء هم شهداء الأعمال أو من يصلح للشهادة على الأمم يوم الحساب)).

وفيه: أولاً: أنه خلاف سياق مثل هذه الآيات الشريفة، إذ لا ربط لقبول قول الشهداء في عداد بيان خصوصيات القتال والجهاد في سبيله.

وثانياً: إذا كانوا من الشهداء في الحق يكونون من الشهداء على الأعمال أيضاً؛ لما تقدم سابقاً من أن الشهداء في سبيل الله لهم مقام الشهادة على الأعمال والشفاعة؛ لما ابتلوا بالصبر والإيثار ببذل النفس.

وثالثاً: إن قوله: ﴿لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ تفصيل بين الشهداء في الحق، فهم ممن أحبّهم الله تعالى واتخذهم وارتضاهم، وبين من قتل في غير الحق.

ورابعاً: إن استعمال الشهداء بمعنى المقتول في المعركة مطابق للقواعد العربية الفصيحة، فلا محذور في وروده في القرآن الكريم، فليكن المقام من ذلك))(٣٦).

أقول: يمكن أن يراد كلا المعنيين باعتبار انطباق العنوان عليهما كما أوضحنا، وأن المورد لا يخصّص الوارد، وعدم صحة إخراج معنى القتل في سبيل الله لأنه محل الكلام، وإن المصطلح موجود في الأحاديث النبوية الشريفة(٣٧) فهو مستعمل في عصر نزول القرآن، بل يمكن استظهاره من بعض الآيات الكريمة كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٧٢) بتقريب أن فرحهم كان لأجل أنهم لم يقتلوا في المعركة، مضافاً إلى أن أمثال هؤلاء الناس لا يمكن أن يفهموا من الشهادة معنى القيمومة على الأمة فالأقرب أنهم يقصدون المقتولين في سبيل الله في المعركة بعد أن صارت تسميتهم بالشهداء تعبيراً عرفياً في المجتمع المسلم فلا وجه لاستبعاده.

وقد دلّت الأحاديث الشريفة على أن مصاديق الشهيد واسعة جداً لا تقتصر على القتل في سبيل الله تعالى كرماً من الله، قال الإمام الحسين بن علي (عليه السلام): (لو لم تكن الشهادة إلا لمن قتل بالسيف لأقلّ الله الشهداء)، ومن المصاديق الواسعة للشهيد ما ورد في الحديثين المتقدمين (صفحة ٤) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً من قدر(٣٨) فعفّ)(٣٩)، وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من مات على حبّ(٤٠) آل محمد مات شهيداً)(٤١)، وفي حديث الإمام زين العابدين (عليه السلام): (من مات على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأحد)(٤٢)، وروي في مجمع البيان عن منهال القصاب قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) ادع الله أن يرزقني الشهادة، فقال: إن المؤمن شهيد، وقرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (الحديد: ١٩))(٤٣)، ووردت في الأحاديث الشريفة مصاديق أخرى كالمرأة التي تموت أثناء الولادة ومن مات غرقاً أو بسبب الطاعون والمواظب على آية الكرسي دبر كل صلاة وعلى سورة الكهف كل ليلة جمعة(٤٤) وغير ذلك(٤٥).

إن الشهادة لا تتحقق إلا بإخلاص العمل لله سبحانه وأن يُقدم حينما يريد منه الله تعالى الإقدام، ويتأخر عندما يريد الله تعالى له ذلك من خلال طاعة القيادة الربانية الرشيدة التي افترض الله تعالى طاعتها، وليس تبعاً لهواه واندفاعه وحماسه أو تعصباً أو لجماعة أو حباً بشخص أو طمعاً في الدنيا أو غير ذلك، روى الشيخ الطوسي في أماليه بسنده عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن أبيه الكاظم (عليه السلام) عن آبائه (صلوات الله عليهم أجمعين) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث قال: (إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، فمن غزا ابتغاء ما عند الله فقد وقع أجره على الله عز وجل، ومن غزا يريد الدنيا أو نوى عقالاً لم يكن له إلا ما نوى)(٤٦) وقال (صلى الله عليه وآله): (كم ممن أصابه السلاح ليس بشهيد ولا حميد، وكم ممن قد مات على فراشه حتف أنفه عند الله صديق شهيد)(٤٧).

إن للشهادة قيمة كبرى في الإسلام لا يضاهيها شيء من الطاعات بحسب الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كما في قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩)، فالشهداء بعد مرتبة النبيين والصديقين، وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (فوق كل ذي برّ برٌّ حتى يقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برّ)(٤٨).

وقد تتفاوت درجات الشهداء بحسب نوع العمل وظروفه ودرجة الصدق والثبات فيه كالمروي في تفاوت درجة القادة الشهداء في مؤته فإن عبد الله بن رواحة ليس في درجة جعفر الطيار وزيد بن حارثة (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين).

وتبلغ قيمة الشهادة ذروتها عندما تكون بسبب اتخاذ المواقف الحقّة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر في زمان دولة الجور والظلم والعدوان وانتهاك المقدسات فقد روي في الحديث الشريف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما سئل: (يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ قال: كلمة حق تقال عند ذي سلطان جائر)(٤٩).

لقد كان السيدان الشهيدان الصدران (قدس الله سريهما) شهيدين بكل هذه المعاني فقد كانا بمرجعيتهما وعلمهما وعلمهما وجهادهما ومواقفهما شهيدين على الأمة وحجتين عليها.

وكانا شهيدين لأنهما قتلا في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته.

وكانا شهيدين لأنهما أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، وقالا كلمة الحق أمام سلطان جائر متجبر مستخف بالحرمات.

فعلى جميع الكتاب والمثقفين والفضلاء أن يهتموا بتدوين سير الشهداء ونشرها لتتعرف الأمة على السر(٥٠) الذي استحقوا أن يتخذهم الله شهداء، لأن الشهادة نفسها كرامة يمنحها الله تعالى لمن يشاء وليست بأيدينا وإنما علينا أن نعرف موجباتها (اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك) وطريق الوصول إليها واستحقاقها لنتأسى بهم ونستفيد من تجربتهم والله ذو الفضل العظيم.

نسأل الله تعالى الرحمة والرضوان لشهداء الإسلام وأن يبلّغهم المقام المحمود الذي وعدهم إنه سبحانه لا يخلف الميعاد ولا يضيع أجر من أحسن عملاً.

(٣٣) أمالي الطوسي: ٦/ ٧٧.
(٣٤) أما شهداء الحرب فقد ذُكروا بالقتل ولم يذكروا بالشهادة كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٥٤) وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩). (٣٥) الميزان في تفسير القرآن: ٤/ ٣٠، ط. الأعلمي- بيروت.
(٣٦) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: للسيد عبد الأعلى السبزواري: ٦/ ٣٦٩-٣٧٠، ط. الخامسة. (٣٧) راجع الجزء الثالث من كتاب ميزان الحكمة، ويمكن أن يُنسب إلى الآيات الشريفة.
(٣٨) أي قدر على فعل المعصية أو على خصمه لكنه اتقى الله تعالى فانتصر على هواه وميله النفسي وعفّ عن فعل الحرام. (٣٩) نهج البلاغة الحكمة: ٤٧٤.
(٤٠) لا بد أن نفهم من الحب المقترن بالطاعة والاتباع ((إن المحبّ لمن أحبّ مطيع)) وليس مجرد الحب العاطفي. (٤١) بحار الأنوار: ٦٨/ ١٣٧، ح ٧٦. (٤٢) بحار الأنوار: ٨٢/ ١٧٣، ح٦.
(٤٣) مجمع البيان: ٩/ ٣٥٩. (٤٤) ثواب الأعمال: ١٠٧ (٤٥) راجع الأحاديث في ميزان الحكمة: ٤/ ٥١٢. (٤٦) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١ - الصفحة ٤٩.
(٤٧) كنز العمال: ١١٢٠٠. (٤٨) الكافي: ٢/ ٣٤٨، ح٤. (٤٩) ميزان الحكمة: ج ٣ - الصفحة ١٩٤٤
(٥٠) فالحر الرياحي كمثال للتوفيق للشهادة العظيمة بين يدي الإمام الحسين (عليه السلام) مع أنه قضى عمره محارباً في جيش الدولة الاموية حتى أصبح قائداً عسكرياً كبيراً يتمتع بامتيازات ضخمة فلندرس سرّ توفيقه، ويمكن اكتشافه من قول الإمام الحسين (عليه السلام) عندما وقف على مصرعه (حرّ كما سمّتك أمك حرّ) فانعتاقه من اتباع الشهوات وهوى النفس وطاعة الطواغيت والخوف من الموت الا مع الحق سبب توفيقه، ويمكن أن ينضمّ اليه احترامه الكبير للسيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وتقديره لها ويعرف ذلك من عدم ردّه على الإمام الحسين (عليه السلام) عندما اعترضه في الطريق وهو يقود ألف فارس وحصلت مشادة في الكلام وزجر الإمام (عليه السلام) بقوله: (ثكلتك أمك) ولم يردّ على الإمام (عليه السلام) مع إن الإمام (عليه السلام) و أهله كانوا في قبضته لأن أم الإمام (عليه السلام) هي فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين.



## الحج وصدق الفرار الى الله تعالى (٥١)

قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠] وهو أمر بالفرار إلى الله تعالى وقد شرحنا ذلك في قبس سابق(٥٢) ضمن عدة نقاط ويمكن مراجعتها، مثلاً إن الآية ذكرت الفرار إلى الله تعالى ولم تذكر ممن الفرار؟ وأجبنا إن الفرار منه سبحانه أيضاً وليس في ذلك أي تناقض فنحن نفرّ من عدله إلى كرمه وتفضّله، ومن غضبه الى رحمته، وقد تضمنت الأدعية الشريفة هذه المعاني، كما في مناجاة الراغبين للإمام السجاد (عليه السلام): (وَهَا أَنَا...... فَارٌّ مِنْ سَخَطِكَ إِلَى رِضَاكَ، هَارِبٌ مِنْكَ إِلَيْكَ).

وقد دلّت الروايات الشريفة أن الحج هو من أعظم طرق الفرار إلى الله تبارك وتعالى، فقد روى الشيخ الكليني في الكافي والشيخ الصدوق في معاني الأخبار بالإسناد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير الفرار الى الله قال: (حجّوا الى الله عز وجل)، وروى الشيخ الصدوق في الفقيه بسنده عن زيد الشهيد عن أبيه السجاد (عليه السلام) قال: (يعني حجّوا إلى بيت الله، يا بنيَّ إن الكعبة بيت الله، فمن حجّ بيت الله فقد قصد إلى الله) ويضيف الإمام (عليه السلام) توسعة لذلك لمن لم يتيسر له الحج فقال (عليه السلام): (والمساجد بيوت الله فمن سعى إليها فقد سعى الى الله وقصد إليه)(٥٣).

أن الحياة في ضيافة الرحمن وفي تلك الأراضي المقدسة من نعم الجنة التي عجلها الله تعالى لعباده المؤمنين في الدنيا قبل الآخرة ليريهم نعم الجنة وجدانياً ويشوّقهم إليها.

فمدة السفر إلى الديار المقدسة أيام خالصة لله تبارك وتعالى شرفها الله تعالى وأكرمها بارتباطها به تبارك وتعالى، وقد أكّد دعاء العشرة الأولى من ذي الحجة هذا المعنى (اللَّهُمَّ هَذِهِ الْأَيَّامُ الَّتِي فَضَّلْتَهَا عَلَى الْأَيَّامِ وَشَرَّفْتَهَا وَقَدْ بَلَّغْتَنِيهَا بِمَنِّكَ وَرَحْمَتِكَ) والمتوقع من الحاج الذي تجرد عن وطنه وأهله وأحبائه وماله ومنصبه وموقعه الاجتماعي أن يفرّغ نفسه فيها لله تعالى، ويبدأ الاستعداد لهذه السفرة الإلهية قبلها بمدة فيبحث عن القافلة التي فيها مرشد ديني فاضل وورع وعامل، ومتعهد مخلص أمين، وأن يبرئ ذمته من حقوق الله تعالى والناس المادية والمعنوية، ويسترضي خصومه، وان يتفقه في مسائل الحج حتى يكون عارفاً بما عليه من أولها ولا يفوته شيء منها، فتجد من يحرم من المطار ولا يلتفت الى أن التظليل بسقف الطائرة مخالفة شرعية، وأن يصحب معه ما يعينه على طاعة الله مما سنذكر إن شاء الله تعالى، ومما يستحب قبل السفر توفير الشعر من أول ذي القعدة وهكذا.

والفرار إلى الله تعالى له مراتب يحصل الحاج في بعض مراتبه العالية على نور يسدّده في حياته كلها، فكيف نحقق أفضل مراتب الفرار في هذا الموسم العبادي؟

١- الورع عن محارم الله كالغيبة والاختلاط غير المشروع بين الرجال والنساء والممازحة باعتبار طول الرفقة في السفر وتجنب مجالس البطالين والأحاديث الفارغة واللغو التي لا تخلو غالباً من المحرمات كالغيبة والغمز واللمز فالحجاج في ضيافة الرحمن وليسوا في مقهى أو على أرصفة الطرقات، وأن تلتزم النساء بمقتضيات الحياء والعفة ويتجنبنّ ما ينافيهما فإنهما رأس كل خير، قال تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

٢- عدم إضاعة الوقت فيما لا نفع فيه كالتسكع في الأسواق والتفرّج على أنواع البضائع فيها ويكفيه شراء ما يتحف أهله ومحبيه من هدايا تبركاً من الديار المقدسة، واستثمار الوقت بما ينفع حاله كذكر الله تعالى فقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في فضل التسبيحة الرباعية قوله: (من قال: سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال: الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال: لا إله إلا الله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال: الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة فقال رجل من قريش: يا رسول الله إن شجرنا في الجنة لكثير، قال: نعم، ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها، وذلك أن الله عز وجل يقول: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم")(٥٤).

أقول: هذه النيران هي المعاصي كالغيبة وظلم الآخرين وإيذائهم وغير ذلك.

٣- زيارة البيت الحرام يومياً والصلاة والدعاء فيه والإكثار من الطواف حول الكعبة وهو أفضل من إكثار الصلاة للحجاج الآفاقيين، وإن مجرد النظر إليها عبادة وان ينوب في هذه العبادات وغيرها عن المعصومين (عليهم السلام) ثم عن جميع المؤمنين ليتضاعف أجره بعددهم.

٤- الالتفات الى الأسرار المعنوية(٥٥) لشعائر الحج ومعانيها الحقيقية والأغراض المقصودة منها لتكتمل الاستفادة منها فان جوائز الحجاج على مراتب، أدناها لمن اقتصر على الشكليات قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] وتوجد كتب مؤلفة في هذا المجال.

٥- الالتزام بالصلاة في أوقات فضيلتها فمن المعيب أن ينام الحاج عن صلاة الصبح أو يؤخر صلاته عن وقت الفضيلة لانشغاله بأمور الدنيا.

٦- الحرص على حضور صلاة الجماعة التي يقيمها المرشدون، فإن فيها ثواباً لا يحصى وبركات لا تعدّ.

٧- المواظبة على الاستماع الى المحاضرات الدينية وحضور مجالس الوعظ والإرشاد وتعليم الأحكام الشرعية عموماً وما يتعلق بالحج خصوصاً.

٨- الإكثار من تلاوة القرآن الكريم فقد نزل على النبي (صلى الله عليه وآله) في هذه الأرض المباركة، وأن يعيش أجواء الآيات الكريمة وظروف نزولها وورد استحباب إكمال ختمة قرآن في مكة.

٩- أداء الصلوات المستحبة كالنوافل اليومية خصوصاً صلاة الليل فقد قال الله تعالى في جزاء من يؤديها ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، وصلاة جعفر الطيار في المشاهد المشرفة خصوصاً في ضحى يوم الجمعة، وصلاة ركعتين يوم الجمعة بين الظهر والعصر بالحمد والتوحيد سبعاً مع دعائها القصير، وصلاة أربع ركعات بالحمد والتوحيد ثلاثاً والمعوذتين كل أحد من ذي القعدة وبعدها الاستغفار والدعاء وصلاة ركعتين بالحمد وآية ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى﴾ [الأعراف: ١٤٢] في العشر الأوائل من ذي الحجة، وصلاة أول الشهر حيث سيهلّ عليهم شهر الحجة وهم في الديار المقدسة وغير ذلك مما جرت عليه سيرة الصالحين.

١٠- وما دام الحاج ينوي الإقامة في مكة فإنه يستطيع الصوم من هذه الناحية، فلا يفوته صوم الأيام المستحبة كيوم دحو الأرض وأول خميس من الشهر وآخر خميس والأربعاء في الوسط وصوم الخميس والجمعة والسبت من الأشهر الحرم ومنها ذو القعدة وذو الحجة، كما يستحب صيام الأيام التسعة الأولى من شهر ذي الحجة.

١١- الإكثار من الأدعية المنصوصة في الأوقات المخصوصة وغيرها، أو ما يُنشئه الحاج نفسه مما يعبّر عن عمق صلته بالله تعالى وشدة فقره واحتياجه إلى فضله وإحسانه تبارك وتعالى.

١٢- مطالعة كتب المناسك للتفقه في أحكام الحج وأدائها بأحسن كيفية والسؤال عن الأحكام التي لا يعرفها.

١٣- أن يحسن معاشرة الآخرين وصحبتهم ويكون لطيفاً وودوداً ساعياً في خدمتهم قدر الإمكان ويؤثرهم على نفسه إن حصل تزاحم في أمر ما كالطعام أو المكان ولا يؤذيهم، وقد عقد صاحب الوسائل كتاباً مفصلاً لروايات أهل البيت (عليهم السلام) في آداب العشرة قبل الدخول في مسائل كتاب الحج.

١٤- وتوجد مستحبات خاصة بمناسك الحج كاستحباب الإحرام من المسجد الحرام للخروج الى الحج وإن كان الإحرام من المنزل مجزياً وغير ذلك مما ذكرته كتب المناسك، وقد يصعب أداء بعضها بسبب تنظيم حركة القوافل وحفظ الحجاج من الضياع كالمبيت ليلة عرفه في منى وكذا الليلة الثالثة عشرة لمن لم تجب عليه فلا بد من الاتفاق بين المتعهد والمرشد الديني.

١٥- إظهار وحدة الشعب واستثمار هذه الفرصة حيث يجتمع الحجاج من كافة الطوائف والقوميات والمناطق وتذويب جميع الخلافات والتذكير بالقواسم المشتركة التي أرادها الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

١٦- الاهتمام بقضايا المسلمين جميعاً في شرق الأرض وغربها والتعاطف معهم والمساعدة في حل مشاكلهم ولو بكلمة مواساة او نصيحة أو بنقل مشاكلهم الى المعنيين، وتبادل الرؤى النافعة مع جميع المسلمين قال الله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

(٥١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على حشد كثير من مرشدي الحجاج في نهاية مؤتمرهم السنوي قبل توجّههم الى الديار المقدسة يوم الجمعة ٦/ذو القعدة/١٤٤٤ الموافق ٢٦/ ٥/ ٢٠٢٣م.
(٥٢) تفسير (من نور القرآن): ٥/ ١٤-٢١. (٥٣) راجع مصادر هذه الروايات في تفسير البرهان: ٩/ ١٣٤. (٥٤) بحار الأنوار ٩٠، ص١٦٨.
(٥٥) أتذكر انني في حج سنة ١٤٣١ كنت ألقي كلمة أخلاقية عن الآداب المعنوية للحج في إحدى القوافل تأثروا بها ومما ذكرت من أسرار الحج هو ابتداء الحج بعد الاحرام بالخروج الى عرفة وهي خارج الحرم وفيه رسالة أنكم لا تستحقون بأعمالكم إلا الخروج من حرم الله تعالى الآمن المبارك لكنهم بعد أن يصدقوا في الاستغفار والدعاء في عرفة وإكثار الذكر في مزدلفة يؤذن لهم بدخول الحرم في منى فيرجمون شياطين الجن والإنس وينحرون الأهواء والمطامع وشهوات النفس الأمارة بالسوء ويحلقون رؤوسهم إعلاناً للنصرة التامة لدين الله تعالى ثم يعودون الى البيت الحرام راضين مرضيين.

## تتمة: تنزيه الأمة الإسلامية عن السبّ

بذلك ويبرأ ممن خالفه، يا ابن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة)(١٨).

فمشاريع الأعداء في ذلك الزمان وفي كل زمان خفيّة تنطلي على غير الفطن الذي أنار الله تعالى بصيرته وهي على ثلاثة أنحاء والهدف منها خلق قاعدة شعبية عاطفية مندفعة تتكفل بطرح يعزّز هويتها ويميزها عن الآخرين لأنهم يرون العلاقة مع الآخر صراع وجود، وهذا الصراع يستفيد منه بعض المتصدّين تحت هذا العنوان لترسيخ زعامتهم وهيمنتهم.

وبروايات التقصير يستفزّون المغالين المندفعين ويدفعونهم بعيداً باتجاه الغلو لأن المغالين يستمدون حماستهم من مخاصمة المقصّرين، فيخرج المغالون عن حدّ الوسطية والاعتدال الذي أمر الله تعالى به ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ويعادون الجميع حتى إخوانهم في العقيدة إذا لم يشاركوهم في تطرفهم وهي نتيجة طبيعية لمن يعتمد الثقافة الحماسية غير المبنية على الدليل المعروف في المصطلح بالشعبوية.

وهذا درس عميق في علمي السياسة والاجتماع نستفيد منه لترشيد علاقتنا في بيتنا الداخلي ومع الآخرين، وقد عمل أعداء أهل البيت (عليهم السلام) كل ما بوسعهم للوصول إلى تطويق مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وجعل شيعتهم معزولين فلا ينتشر التشيّع رغم ما فيه من قابلية التأثير والإقناع (فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)(١٩)، بل يؤدي إلى ردة فعل جاهلة حمقاء ضد شيعة أهل البيت (عليهم السلام) للانتقام منهم واستئصالهم.

فلا بد من الرجوع إلى القواعد التي رسمها الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) في التعامل مع الآخرين فإنه هو الحق ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢].

(١٨) عيون أخبار الرضا: ١/ ٢٧٢. (١٩) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١/ ٢٧٥.

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة الشيخ محمد اليعقوبي
العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول (صلى الله عليه وآله) أو على عنوان البريد الألكتروني: ....com
موقعنا على الأنترنت: www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي